والحشر : جمع الناس من مواضع متفرقة إلى مكان واحد . ولما كان ذلك يستدعي مشيهم عدي الحشر بحرف (على) لتضمينه معنى (يمشون) . وقد فهم الناس ذلك من الآية فسألوا النبي على يمشيهم أن على قادر أقدامهم على أمشاهم الذي إن : فقال ؟ وجوههم على يمشون كيف A وجوههم . والمقصود من ذلك الجمع بين التشويه والتعذيب لأن الوجه أرق تحملا لصلابة الأرض من الرجل .

وهذا جزاء مناسب للجرم لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق ووسموا الحق بسمات الضلال فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضا عن الأرجل . ثم كانوا (عميا وبكما) جزاء أقوالهم الباطلة على الرسول وعلى القرآن و (صما) جزاء امتناعهم من سماع الحق كما قال تعالى عنهم (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) . وقال عنهم (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال عنهم (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان أعمى عن الحق فهو في الحشر يكون محروما من متعة النظر . وهذه حالتهم عند الحشر .

والمأوى محل الأوي أي النزول بالمأوى أي المنزل والمقر .

وخبت النار خبوا وخبوا : نقص لهيبها .

فيه الوصف جرى وقد . وقودها هيج إذا النار سعر من مشتق وهو النار لهب : والسعير A E على التذكير تبعا لتذكير اللهب . والمعنى : زدناهم لهبا فيها .

وفي قوله (كلما خبت زدناهم سعيرا) إشكال لأن نار جهنم لا تخبو . وقد قال تعالى (فلا يخفف عنهم العذاب) . فعن ابن عباس : أن الكفرة وقود للنار قال تعالى (وقودها الناس والحجارة) فإذا أحرقتهم النار زال اللهب الذي كان متصاعدا من أجسامهم فلا يلبثون أن يعادوا كما كانوا فيعود الالتهاب لهم .

فالخبو وازدياد الاشتعال بالنسبة إلى أجسادهم لا في أصل نار جهنم . ولهذه النكتة سلط فعل (زدناهم) على ضمير المشركين للدلالة على أن ازدياد السعير كان فيهم فكأنه قيل : كلما خبت فيهم زدناهم سعيرا ولم يقل : زدناها سعيرا .

وعندي : أن معنى الآية جار على طريق التهكم وبادئ الإطماع المسفر عن خيبة لأنه جعل ازدياد السعير مقترنا بكل زمان من أزمنة الخبو كما تفيده كلمة (كلما) التي هي بمعنى كل زمان . وهذا في ظاهره إطماع بحصول خبو لورود لفظ الخبو في الظاهر ولكنه يؤول إلى

يأس منه إذ يدل على دوام سعيرها في كل الأزمان لاقتران ازدياد سعيرها بكل أزمان خبوها . فهذا الكلام من قبيل التمليح وهو من قبيل قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمال في سم الخياط) وقول إياس القاضي للخصم الذي سأله : على من قضيت ؟ فقال : على ابن أخت خالك .

(ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا [98]) استئناف بياني لأن العقاب الفظيع المحكي يثير في نفوس السامعين السؤال عن سبب تركب هذه الهيئة من تلك الصورة المفظعة فالجواب بأن ذلك بسبب الكفر بالآيات وإنكار المعاد .

فالإشارة إلى ما تقدم من قوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) إلى آخر الآية بتأويل : المذكور .

والجزاء : العوض عن عمل .

والباء في (بأنهم كفروا) للسببية .

والظاهر أن جملة (وقالوا أ إذا كنا عظاما) الخ . عطف على جملة (بأنهم كفروا) فذكر وجه اجتماع تلك العقوبات لهم . وذكر سببان : أحدهما : الكفر بالآيات ويندرج فيه صنوف من الجرائم تفصيلا وجمعا تناسبها العقوبة التي في قوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم) .

وثانيهما : إنكارهم البعث بقولهم (أ إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا) المناسب له أن يعاقبوا عقابا يناسب ما أنكروه من تجدد الحياة بعد المصير رفاتا فإن رفات الإحراق أشد اضمحلالا من رفات العظام في التراب .

والاستفهام في حكاية قولهم (أإذا كنا عظاما) وقوله (إنا لمبعوثون) إنكاري .

وتقدم اختلاف القراء في إثبات الهمزتين في قوله (أإذا) وفي إثباتها في قوله (أإنا لمبعوثون) في نظير هذه الآية من هذه السورة